دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القدس من الفتح الإسلامي حتى سقوطها على يد الصليبيين منذ 492 هـ - 1099 م
المصدر:	هدي الإسلام - الأردن
المؤلف الرئيسي:	صبرة، عفاف سيد
المجلد/العدد:	مج 36, ع 5,6
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	27 - 55
رقم MD:	190799
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	العصر العباسي، الفتح الإسلامي، القدس، العهدة العمرية، العصر الأموي، قبة الصخرة، المسجد الأقصى ، العصر الطولوني، الغزو الصليبي، سقوط بيت المقدس
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/190799

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القدس من الفتح الاسلامي حتى سقوطها على يد الصليبيين منذ ٤٩٢هـ ـ ١٠٩٩م

د. عفاف سيد صبره

الفتح الاسلامي للقدس

كان للعرب في الجاهلية رحلة تجارية يسافرون فيها خلال الصيف الى بلاد الشام التي من مدنها القدس. وقد شارك الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلتين الى بلاد الشام، وكان أبو سفيان قد وصل الى القدس في رحلاته التجارية، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تاجر في أسواق غزة(١).

بدأ تفكير الرسول صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بنشر الاسلام خارج حدود الجزيرة العربية لما تم صلح الحديبية مع قريش كتب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أباطرة العالم وحكامهم وأمراء العرب يدعوهم فيها الى الاسلام والى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة واهتم اهتماماً كبيراً فاختار لكل واحد منهم رسولاً يليق به ويعرف لغة بلاده(٢). ومن هؤلاء هرقل امبراطور الروم وكسرى ابرويز الفارسي والنجاشي الحبشي والمقوقس حاكم مصر. فأما هرقل والنجاشي والمقوقس فتأدبوا ورقوا في إجاباتهم، وأما كسرى فقد مزق كتاب الرسول(٣).

بدأ الاحتكاك الحربي بين المسلمين والروم في غزوتي مؤته وتبوك، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن أوس «ألا إن الشام ستفتح وبيت المقدس ستفتح أن شاء الله تعالى، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها»(٤).

بدأ الاستعداد للاتجاه ناحية بلاد الشام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيز جيش أسامة للاتجاه الى صحراء البلقاء لنشر الاسلام بين العرب الغساسنة وفتح الطريق الى بلاد الشام وبيت المقدس، إلا أنه انتقل الى الرفيق الأعلى دون أن يتم انفاذ أسامة.

عندما تولى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه امامة المسلمين وضع قضية الفتوحات الاسلامية نصب عينيه فاتخذ الخطوة العملية باستكمال مابدأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخطيطه لارسال اسامة، مؤكداً أنه يسير وفق النهج الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياسته الخارجية للدولة الاسلامية.

وقد استفتح الصديق رضي الله عنه خلافته بأن عجل بتنفيذ رغبة الرسول الكريم(٥). فأمر مناديه أن ينادي في الناس من بعد الغد من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، «ليتم بعث اسامة ألا لايبقين بالمدينة أحد من جند أسامة الا خرج الى عسكره بالجرف» (٦).

جهز الصديق رضي الله عنه جيش الاسلام لفتح بلاد الشام بعد عودة اسامة ظافراً حاملاً الغنائم وبعد أن طهر الجزيرة العربية من المرتدين. وكان هدفه من ذلك تحقيق أوامر الله سبحانه وتعالى في نشر الاسلام بين الناس كافة، حتى تتحقق نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح بيت المقدس.

استنفر أبو بكر جيوش الجزيرة وعهد بالقيادة الى أربعة من خيرة المسلمين وهو أبو عبيدة بن الجراح وعمرو ابن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وأمرهم أن يتوجهوا الى بلاد الشام، وكان الصديق قبل ذلك قد عقد الى خالد بن سعيد بن العاص بالسير الى بلاد الشام، فكان بذلك أول لواء يعقده لفتح الشام لكنه عزله وولى مكانه يزيد بن ابي سفيان(٧).

قسم أبو بكر الجيوش المتوجهة الى الشام، فجعل لكل كورة أميراً فسمى لأبي عبيدة بن الجراح حمص وليزيد بن أبي سفيان دمشق، ولشرحبيل بن حسنة الأردن ولعمرو بن العاص ومعه علقمة بن المجزر فلسطين، وبلغت عدة جنود المسلمين وفق رواية الطبري سبعة وعشرين ألفاً، مجموع الأجناد الأربعة الرئيسية المعسكرة في حمص ودمشق والأردن وفلسطين وثلاثة آلاف من جيش خالد بن سعيد وعشرة آلاف من إمداد خالد بن الوليد بالاضافة الى ستة آلاف ثبتوا مع عكرمة بن أبي جهل(٨).

انتصر المسلمون في جميع المعارك التي خاضوها ضد الروم وأولها انتصار اليرموك

سنة ١٣هـ، وبعده توفي أبو بكر والت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي عهده استكمل المسلمون فتوحاتهم شمالاً وجنوباً والذي يهمنا من أمر هذه الفتوح مايتعلق بفتح فلسطين وبيت المقدس، فعندما علم هرقل بتوجه الجيوش الاسلامية الى فلسطين بقيادة عمرو بن العاص، وعين أخاه ثيودورس الذي سماه العرب «ارطبون» قائداً على جيش كبير وسيرة لمنع العرب من دخول فلسطين حيث أنها بلاد خصبة(٩). وكان هرقل وقتئذ بحمص(١٠).

قرر هرقل أن يجمع جيشاً في أجنادين مما دفع المسلمين الى التجمع بأجنادين أيضاً في الوقت الذي كان فيه عمرو بن العاص بفلسطين(١١).

ترك خالد بن الوليد حصاره لدمشق، وتوجه الى أجنادين ومعه أبو عبيدة بن الجراح، فرتب الجيوش وبعدها انتصر المسلمون انتصراً ساحقاً في أجنادين سنة ١٥هـ اضطر أرطبون الى الانسحاب متجهاً الى بيت المقدس(١٢).

عندم لاح هذا الانتصار للمسلمين استشار أبو عبيدة الخليفة عمر بن الخطاب في وجهة الجيش فأشار عليهم الخليفة بأن يتوجهوا صوب بيت المقدس، لذلك بعث أبو عبيدة خطاباً الى أهل ايلياء «بيت المقدس» كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة بن الجراح الى بطاركة أهل أيلياء وسكانها سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وبالرسول. أما بعد فإنا ندعوكم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا أخواناً وإن أبيتم فأقروا لنا بآداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرن اليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ولا أرجع عنكم إن شاء الله تعالى أبدا حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم»(١٣).

لعل هذا الخطاب يوضح لنا وبصورة قاطعة كيف كان المسلمون يعاملون أهل البلاد المفتوحة ويبين لنا التغيير الجوهري الذي سيشهده أهل القدس في معاملة الحكام لهم، وأن هؤلاء الفاتحين الجدد صورة تختلف كل الاختلاف عما شهدوه على يد الحكام البيزنطيين. وقد كتب أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب يبين له أن قواته بلغت أقصى بلاد الشام، وذكر أيضاً «وقد بعثت الى أهل ايلياء أدعوهم الى الاسلام فإن قبلوا وإلا فليؤدوا الجزية الينا عن يد وهو صاغرون، فإن أبوا سرت اليهم حتى أنزل بهم ثم لأزيلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله تعالى(١٤).

انتظر أبو عبيدة أهل ايلياء فأبوا أن يأتوه فأقبل سائراً اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم حصاراً شديداً دام مايقرب من أربعة شهور في ظل ظروف مناخية قاسية في اشد قتال مع الصبر على المطر والثلج، فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار، ومانزل بهم وقفوا بين يدى البطريرك صفرنيوس وقالوا له «قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ماالذي يريدون؟ فإذا كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم، فإما أن نقتل عن أخرنا وإما أن نهزمهم عنا. فأجابهم البطريرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى رجل منهم بالعربية» يامعشر الفرسان قد أقبل عمدة دين النصرانية يخاطبكم فليدن منا أميركم، فقام أبو عبيدة يمشي وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر عن يساره ومعه جماعة من أصحاب رسول الله وترجمان ــ فلما وقف بإزائهم قال ما الذي تريدون، هذا أمير العرب، فقال البطريرك أنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدنا فماذا تريدون؟ فأجاب أبو عبيدة إنا نطلب منكم واحداً من ثلاثة فإما أن تسلموا وتصبحوا لنا مالكم وعليكم ماعلينا، وإما أن تدفعوا الجزية، وإن رفضتم صبرنا عليكم حتى نفتح بلدكم بإذن الله(١٥) «فقال البطريرك: إن كان الأمر كما ذكرت فاحقن الدماء وابعث الى أميرك يأتي ليتسلم البلد بنفسه على أن نعطيه الجزية(١٦).

ويؤكد أبو عبد الله السيوطي في إتحاف الأخصاء حدثني شيخ من الجند عن عطا الخرساني أن المسلمين لما نزلوا على بيت المقدس قال لهم رؤساؤهم «إنا قد جمعنا على مصالحتكم، وقد عرفتم منزلة بيت المقدس، فإن المسجد الأقصى الذي أسرى بنبيكم اليه ونحن نخشى أن يفتحها ملككم(١٧)» وقد هم أبو عبيدة بن الجراح بالكتابة الى الخليفة عمر بن الخطاب إلا أن معاذ بن جبل أمهله قائلا: اتكتب لأمير المؤمنين تأمره بالقدوم عليكم فلعله يقدم، ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مجيئه فضلاً وعناء، فلا تكتب حتى يوثقوا اليك، واستحلفهم بالايمان المغلّظة والمواثيق المؤكدة إن أنت بعثت الى أمير المؤمنين فقدم عليهم وأعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم، وكتبت عليهم بذلك كتاباً ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام(١٨).

استجاب البطريرك المسيحي صفرنيوس ورجاله لمطالب أبي عبيدة، لذلك بعث الى الخليفة عمر رضي الله عنه رسالة حملها اليه ميسرة بن مسروق يدعوه للقدوم الى بيت المقدس ليتسلمها، وعندما وصل الخطاب الى عمر بالمدينة جمع أهل الحل والعقد من المسلمين واستشارهم في كتاب ابي عبيدة وشاورهم في الأمر فنهى عثمان عن

الذهاب لما في ذلك من المشقة ولأن القوم ذلوا فلا يلبثوا الا يسيراً حتى ينزلوا على الحكم و يعطوا الجزية، فاعترض علي بن أبي طالب، وأشار على عمر بالذهاب لما في ذهابه من أجر وحجب للدماء فأطاع عليا(١٩). ثم إن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للسفر معه، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر ومعه غرارتان في أحدهما سويق وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد، وسار ومعه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة الى أن أقبل على بيت المقدس(٢٠).

عندما دنا عمر من المدينة استقبله العرب ومعهم الرايات والسيوف وأقبل المسلمون يضعون الخيل في طريقه، ثم وصل أبو عبيدة مع عدد من الناس راكبا قلوصاً، فلما رأى عمر رضي الله عنه أناخ قلوصاً(٢١) وأناخ عمر بعيره واقبلا على بعضهما، وحاول أبو عبيدة أن يقبل يد عمر رضي الله عنه تعظيماً له، فأهوى عمر على رجل أبي عبيدة ليقبلها ثم تعانقا بعدها وسار الناس أمامهما، وذكر أن المسلمين تلقوا عمر رضي الله عنه ببرذون(٢٢) وبثياب بيض وطلبوا منه أن يركب البرذون و يلبَس الثياب ليكون أهيب في عيون الروم، ولكنه أبى وقبل أخيراً أن يركب البرذون فهلج به البرذون وكان خطام بعيره لازال في يده فنزل عنه وركب بعيره وقال لقد غيرني هذا حتى كدت أن أتكبر وأنكر على نفسي(٢٣).

ومما يروى عن عدالة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحرصه على أموال الذمة أن المسلمين استولوا بعد حضوره الى القدس على كرم من العنب لأحد النصارى فجعلوا يأكلونه، ففزع الذمي الى عمر بن الخطاب مستغيثاً، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن امتطى برذونه عرياناً من العجلة وخرج مسرعاً ليرد المسلمين عن الكرم وقد قابله في طريقه أبو هريرة وهو يحمل عنبا فوق رأسه قد أحضره من كرم الذمي، وقال للخليفة عمر: ياأمير المؤمنين: أصابتنا مخمصة شديدة فرأينا أن من حقنا أن نأكل من مال من قاتلنا وعند ذلك دفع الخليفة عمر بن الخطاب للذمي صاحب الكرم ثمن عنبه وأباحه للمسلمين(٢٤).

وعندما كان الغد من وصوله الخليفة عمر صلى بالمسلمين صلاة الفجر، ثم قال لأبي عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم أني أتيت، فخرج أبو عبيدة فصاح بهم وقال: إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصفون فيما قلتم؟ فاعلم البطريرك بذلك فخرج من القيامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على

أبي عبيدة وقال؛ ماهذا الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال البطريرك قل له أن يدنو مني وأفردوه من بينكم حتى نراه(٢٥).

قرر الخليفة عمر بن الخطاب أن يتوجه الى الحصن بعدما قص عليه أبو عبيدة أخبار البطريرك صفرنيوس، وعندما تقدم اليهم فتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد، فلما رأهم عمر تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجداً، وكان دخوله القدس في السادس عشر من ربيع الأول وقيل لخمس خلون من ذي القعدة سنة خمس عشرة هجرية، ولما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة(٢٦).

العهدة العمرية

كتب الخليفة عمر بن الخطاب وثيقة الأمان التالية وهي التي عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبها ولاشيء من أموالهم ولايكرهون على دينهم، ولايضار أحد منهم ولايسكن ايلياء أحد من اليهود، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو أمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ماعلى أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه مما له مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه ماعلى أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى مافي هذا الكتاب من عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمسة عشر(٢٧).

وأهم مايسترعي النظر في هذه العهدة العمرية النص الذي يركز على ابعاد اليهود عن مدينة القدس، وعدم السماح لهم بسكناها، وربما كان ذلك لما عرفه المسلمون من

عداوة اليهود للمسيحيين ثم للمسلمين، وماكان من وقائعهم ابان ظهور الدعوة الاسلامية (٢٨).

وقد حدد السيوطي الجزية التي فرضها عمر على أهل الذمة «على القوي خمسة دنانير وعلى الذي يليه أربعة دنانير وعلى الذي يليه ثلاثة وليس على كبير ولا على طفل (٢٩).

الخليفة عمر بن الخطاب في بيت المقدس :

تحرك موكب الخليفة عمر بن الخطاب داخل القدس تحف به كوكبة من جنوده تعدادها أربعة آلاف وهم يهتفون هتافاً مكبرين ووجوههم مستبشرة، وكان أول مكان زاره عمر هو كنيسة القيامة، وحان وقت صلاة الظهر وهو في هذه الزيارة فأشار عليه البطريق بأن يصلي مكانه، ولكن عمر بنظر ثاقب أبى أن يصلي في داخل الكنيسة خوفاً من أن يتبعه المسلمون على تعاقب القرون إذ يرون عمله سنة مستحبة، فإذا فعلوا أخرجوا النصارى من كنائسهم وخالفوا عهد الأمان واعتذر للسبب نفسه عن الصلاة في كنيسة قسطنطين المجاورة لكنيسة القيامة، وكانوا قد قدموا له عند بابها بساطا يصلي عليه، وإنما صلى في مكان قريب من الصخرة المقدسة، وفي هذا المكان شيد المسلمون مسجداً سموه مسجد عمر(٣٠).

ويؤكد الحنبلي في الانس الجليل أنه بعد انتهاء عمر رضي الله عنه من كتابة كتاب الصلح طلب من البطريق أن يدله على مسجد داود فسارا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقليدين سيوفهم فأدخلهم البطريق القيامة وقال لعمر هذا مسجد داود، فنظر عمر رضي الله عنه وتأمل وقال كذبت لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف مسجد داود بصفة ماهي هذه فمضى به الى كنيسة يقال لها كنيسة صهيون، وقال له هذا مسجد داود فقال له كذبت فمضى به الى مسجد بيت المقدس حتى وصل الى باب محمد، وكان الباب على وشك أن يغلق لانحدار مافي المسجد فنظر عمر رضي الله عنه يميناً وشمالاً ثم قال الله أكبر هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به اليه، وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني اسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل فحذا المسلمون حذوه ومضى نحو محراب داود الذي علي باب البلد في القلعة، فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد وروي أنه لما جلا المزبلة عن الصخرة

طلب من الناس ألا يصلوا فيها حين تصيبها ثلاث مطرات(٣١).

وفي رواية أخرى أنه عندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ساحة المسجد الاقصى سأل عن كعب الأحبار الذي شهد الفتح وأسلم، عن مكان الصخرة فدل عليها، وكانت مغطاة بالزبل فأزال المسلمون الزبل عنها ثم قرر عمر بن الخطاب أن يبني هناك مسجداً. وقد أشار عليه كعب الأحبار أن يبنيه خلف الصخرة لتجتمع قبلتا موسى ومحمد، ولكن عمر رفض ذلك بشدة وبنى مسجده أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته(٣٢).

تسلم عمر بن الخطاب مفاتيح كنيسة القيامة من صفرنيوس وقام بدوره بتسليم المفتاح الى عبد الله بن نسيبة وهو من الأنصار، وظل هذا المفتاح تتوارثه هذه الأسرة حتى الغزو الصليبي(٣٣).

عهد عمر بن الخطاب الى يزيد بن أبي سفيان بادارة بيت المقدس، وأوصاه برعاية شؤون سكانها بالعدل والتقوى على أن يأتمر بأمر أبي عبيدة. وقسم فلسطين الى قسمين شمالي وعاصمته الرملة وجنوبي وعاصمته ايلياء، كما عين سلام القصير اماماً بالناس وهو من أصحاب النبي، وقد عينه معاوية أيام خلافته والياً بعد وفاة أخيه يزيد، وبنى عياض بن غنم حماماً يرتاده الناس للاستحمام والطهارة(٣٤) وقام بتنظيم المدينة من الناحية الادارية فأقام الأمن ونظم البريد والتجارة(٣٥).

بعد أن رتب الخليفة أمور القدس وعزم على السفر جمع الجند وخاطبهم بقوله «ياأهل الاسلام إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكونن جزاوه، الا الشكر، واياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة، وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلب منهم وسلط عليهم عدوهم(٣٦).

كان بلال بن رباح الصحابي الجليل ومؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم حاضراً لاستلام القدس، وكان قد عزم على ألا يؤذن لأحد بعد رسول الله، وفي يوم سفر عمر بن الخطاب عائداً الى المدينة نودي في الناس للصلاة، قال عمر لبلال: يابلال: ألا تؤذن لنا رحمك الله قال بلال: ياأمير المؤمنين والله ماأردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك «إذا امرتني في هذه الصلاة وحدها، فلما اذن بلال بصوته العميق النافذ الى مجامع القلوب تبينه آلاف المسلمين المجتمعين للصلاة فتذكروا نبيهم وأيامهم معه فهطلت الدموع لجلال الذكرى. ولم يكن أحد أطول

بكاء في هذه المناسبة من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله (٣٧) وكانت رحلة أمير المؤمنين من المدينة الى القدس ثم عودته قد استغرقت ثمانية أشهر.

بدأت القبائل العربية تشد الرحال الى بيت المقدس واستقروا فيها، ولم يشعر مواطنوا القدس بالأمان الا بعد الفتح الاسلامي، ولم يشهد مواطن القدس تسامحاً دينياً إلا أيام الفتح الاسلامي، وكذلك لم تشهد القدس نظاماً وادارة مثلما شهدت بعد الفتح الاسلامي، فبدأت الثقافة العربية واللغة العربية والقيم الاسلامية تفد على المدينة المقدسة.

أحوال بيت المقدس في عهد الخلفاء الراشدين :

سعد المسلمون وشعروا أن الله سبحانه وتعالى قد أفاء عليهم وفتح عليهم بفتح بيت المقدس، لذا ساروا على سياسة اسلامية حكيمة في معاملة أهل البلاد المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى.

سار المسلمون على المبدأ الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوصى بالقبط فقال « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » (٣٨).

ولعلنا إذا استقرأنا العهدة العمرية نجد أن المسلمين أمّنوا أهل الذمة على أنفسهم وأموالهم وديارهم وكنائسهم وبيعهم (٣٩).

لابد الان أن نرى هل استجاب أهل الذمة للأمان الممنوح لهم، هذا ما اورده لنا السيوطي عن عياض بن غنم أن النصارى كتبوا الى عمر « هذا كتاب لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا أنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرارينا وأهل ملتنا وشرطنا لكم علينا وعلى أنفسنا أن لاتحدث في مدائننا ولافيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولانجيى ماكان في خطط المسلمين ولانمنع كنائسنا أن ينزل بها أحد من المسلمين في ليل أو نهار وأن نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وأن ينزل من يريد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوساً ولانكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولانظهر شركاً ولاندعو اليه أحداً من ذوي قربانا الدخول في الاسلام أن اراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه معهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولانعلين ولا فراق شعر ولانتكلم بكلامهم

ولانتكنى بكناهم ولانركب السروج ولانتقلد السيوف ولانتخذ شيئاً من السلاح ولانحمله معنا ولاننقش على خواتمنا بالعربية ولانبيع الخمور ولانجز مقادم رؤوسنا وأن نلتزم زينا حيث مالنا وأن نشد زنانيرنا على أوساطنا ولانظهر الصليب على كنائسنا ولانظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم ولانضرب في كنائسنا في شيء من طرق المسلمين ولافي أسواقهم ولانضرب في كنائسنا إلا ضرباً خفيفا ولانرفع أصواتنا على أمواتنا ولانظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولانجاورهم بموتانا ولانتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ولانطلع عليهم في منازلنا(٤٠).

هذه هي الأحكام العامة التي أقرها أهل الذمة على أنفسهم وعملوا على تنفيذها وقد صدق عليها الخليفة عمر بن الخطاب إلا أنه زاد عليها شرطاً وهو أو يضربوا أحداً من المسلمين، وأراد عمر أن يتأكد من أنهم سيطبقون هذه الشروط، لذا فقد حدد الجزاء الذي يوقع عليهم إذا أخلوا بهذه الشروط وهو أنه لاذمة للمسلمين وقد حل بأهل الذمة ماحل من أهل المعاندة والشقاق(٤١).

ومما يؤكد حسن معاملة المسلمين لأهل الذمة واحترامهم للعهود والمواثيق في القدس وأنهم لم يخلوا بشروطهم ماذكره قلهاوزون من أن التراث المسيحي في فلسطين والشام كان موضع احترام وتقدير كبير من جانب المسلمين، وأن المسيحيين يعيشون بين أبناء البلاد في المدن القديمة كالقدس ودمشق وحمص وقنسرين وغيرهم.

القدس في العصرين الأموي والعباسي

قامت الخلافة الأموية في دمشق عام ٤٠هـ بعدة فترة صراع سياسي كبير قام بين معاوية بن ابي سفيان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما(٤٢).

كانت القدس قد ضمت اداريا عام ٢١هـ / ٦٤١م الى الشام وخضعت لحكم مباشر من قبل والى الشام معاوية بن أبي سفيان الذي قام بدوره بندب أمير لها من قبله(٤٣).

والثابت تاريخياً أن معاوية أصبح الآن خليفة للملسمين بعد أن كان والياً على الشام، لذا ستحتل القدس جل عنايته واهتمامه لقداستها الكبرى الخاصة، وأن هذه المدينة كانت بعيدة عن مجال الصراع السياسي الدائر في هذه الأونة. بل يرجح المؤرخون أن معاوية حصل على لقب خليفة وهو في بيت المقدس سنة ٤٠هـ وأخذ

البيعة من أهل الشام هناك، وينقل المؤرخ قلهاوزون خبر تنصيب معاوية خليفة على المسلمين في بيت المقدس (ن المؤرخ السرياني الذي نشر تاريخه نولدكه في عام ١٩٧١م) من حكم السلوقيين اجتمع كثير من العرب في بيت المقدس ونصبوا معاوية ملكاً فصعد معاوية الى جبل الجلجلة وصلى هناك ثم صعد الى جبيتسماني ثم هبط الى قبر السيدة مريم وصلى. وفي شهر يوليه اجتمع الأمراء وكثير من العرب وبايعوا معاوية وصدر الأمر بأن ينادى به ملكاً في جميع أنحاء بلاده، ولكنه لم يحمل تاجاً(٤٤). كما يؤكد الطبري الكلام بقوله «إن أهل الشام بايعوا معاوية بالخلافة في ايلياء سنة ٤٠هـ» (٤٥).

ولعل زيارة معاوية بن ابي سفيان لبيت المقدس بهذه الصورة وزيارته للأماكن المسيحية المقدسة دليل على مدى تسامحه الديني مع أهل الذمة من سكان هذه المدينة.

ولعل الطابع الغالب على أهل القدس في العصر الأموي، هو الطابع العربي لكثرة القبائل العربية التي أقامت بها قبل الاسلام ومعظم هذه القبائل كانوا من بني عاملة وجذام الذين أقاموا في فلسطين منذ زمن قديم وكذلك كلب وقضاعة وأزد الشراة(٤٦).

استطاع معاوية ويزيد من بعده أن يقيما التوازن بين القيسية واليمانية وأن يعهدا بإدارة المقاطعات الى زعماء تلك القبائل حسبما توافر لهما من استقرار. وكان نصيب فلسطين وبيت المقدس لعرب الجنوب اليمانية(٤٧).

كانت الخطوط العامة لسياسة معاوية هي ابقاء النظام الاداري الذي وضع منذ الخليفة عمر بن الخطاب فاستقبى كتاب الدواوين النصارى كما كان الحال قبله في الشام منذ زمن الفتح، وظلت العملة المستعملة في زمنه هي العملة التي كانت متداولة من قبل(٤٨).

كما عين معاوية حكم بن علقمة نائباً له على فلسطين كما عين سلامة بن قيصر عاملاً على القدس وبقي سلامة هذا بالمدينة حتى توفي فيها(٤٩).

عندما انتقلت الخلالة الأموية من الفرع السفياني الى الفرع المرواني، في عهد عبد الملك إبن مروان ٦٥ ــ ٨٦هـ ارتفعت مكانة بيت المقدس وأولاها خلفاء هذا البيت جل اهتمامهم. ويؤكد المؤرخون على أن عبد الملك أخذ البيعة لنفسه في بيت المقدس سنة ٦٥هـ فيذكر خليفة بن خياط: واستخلف أمير المؤمنين عبد الملك بايلياء في شهر رمضان سنة ٦٥هـ(٥٠). وقد قام عبد الملك وابنه الوليد من بعده بالاهتمام بمدينة القدس وتجميلها بالمساجد والقصور فأصبحت في زمنها واحدة من المراكز العظيمة في الدولة الاسلامية، فأعادوا بناء الأسوار المحيطة بالمدينة وأقاما الأبنية والقصور الفخمة

بجوار الزاوية الجنوبية لسور الحرم والتي استمرت مسكونة من قبل أمراء القدس في العهود الأموية والعباسية والفاطمية (٥١).

ويعلق المؤرخون على قضية عبد الله بن الزبير والثورة التي قام بها واعتصامه بمكة المكرمة (٥٢) وأن عبد الملك بن مروان منع سفر حجاج الشام الى مكة حتى لايتأثروا بدعوة الزبير، ومن أجل ذلك شجع الناس على زيارة بيت المقدس الى جانب مكة (٥٣). ورغم ذلك لم يجرؤ عبد الملك على صرف الناس عن مكة نهائياً وتوجيههم الى القدس لأنه يعلم جيداً أن مكانة القدس الدينية لايمكن أن ترقى الى مكانة مكة المكرمة (٥٤).

عبد الملك بن مروان وبناء المسجد الاقصى وقبة الصخرة :

رأى عبد الملك بن مروان روعة الكنائس في القدس خاصة كنيسة القيامة وأثرها على نفوس المسلمين، لذا رأى أن يقوم بعمارة المسجد الأقصى وهو في الجزء القبلي من الحرم (٥٥) ويؤكد ذلك الحنبلي «إن عبد الملك ابتدأ ببناء قبة الصخرة الشريفة وعمارة المسجد الأقصى الشريف عام ست وستين» (٥٦).

بدأ عبد الملك في مراسلة جميع الولاة على الأمصار الاسلامية ليكتبوا اليه رأيهم في موضوع هذا البناء فوردت اليه الكتب من سائر الأمصار بقولهم نرى رأي أمير المؤمنين موافقاً رشيداً إن شاء الله له مانوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه (٥٧).

رصد عبد الملك ميزانية كبيرة لبداية البناء قدرت بأنها خراج مصر في سبع سنين (٥٨)، وعهد الى أحد علماء عصره وهو أبو المقدم رجاء بن حياة «أوحيوه» بن جود الكندي وأشرف على التنفيذ يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان.

شارك عبد الملك بنفسه في رسم الشكل العام لقبة الصخرة حسب مارتأه، وعرضه على الصناع فقاموا بتنفيذ القبة الصغيرة أثناء مقامه، وهذه القبة تعرف بقبة السلسلة وأمر عبد الملك رجاء ويزيد أن يقوما بالانفاق على هذا العمل (٥٩).

* وأن يفرغا عليه المال افراغاً دون أن ينفقاه انفاقاً (٦٠).
* بعد أن فرغ العمال والمنفذون من أعمال البناء كتبوا الى الخليفة عبد الملك أنه قد أتم الله ماأمر به أمير المؤمنين من بناء قبة الصخرة والمسجد الاقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام وبقي فيما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء مائة الف

دينار فليصرفها أمير المؤمنين فيما أحب. ورد عليها الخليفة وهو سعيد بأنه أمر بهذا المبلغ جائزة لهما، فكتبا اليه.. نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء اليك. فكتب اليها بأن تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وأفرغت عليها، فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب وهيأ لها جلالين من لبود وأدم توضع من فوقها فإذا كان الشتاء البستها لتحميها من الأمطار والرياح والثلوج (٦١).

ويؤكد الحنبلي أن جميع هذه الأعمال المعمارية تمت في عهد عبد الملك حيث رتب له من الخدم القوام ثلثمائة خادم واشتريت له من خمس بيت المال كلما مات منهم واحد قام مكانه ولده وولد ولده أو من أهلهم (٦٢). وكان رجاء بن حبوه ويزيد بن سلام قد حدا الحجر بدرابزين من ساسم (٦٣) ومن خلف الدارابزين ستور ديباج مرخاة، بين العمد، وكان كل يوم اثنين وخميس يأمرون بالزعفران فيدق ويطحن ثم يعمل في الليل ويخمر بالمسك والعنبر والماورد الجوري (٦٤).

بعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٨٦/٧٠٥م آلت الخلافة من بعده الى ابنه الوليدالذي قام ببعض الاضافات الى المسجد الأقصى، وأكمل جميع المباني الناقصة وبنى عددا من القصور بالمدينة وكان أخوه سليمان بن عبد الملك واليه على فلسطين (٦٥). وعندما توفي الوليد بن عبد الملك كان سليمان بمشارق البلقاء وقيل آنه عزم على الاقامة بالقدس واتخاذها عاصمة له فسار اليها وبويع بالخلافة سنة ٩٦هـ/٧١٥م فكان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس وتبسط البسط بين يدى قبته وعليها الفارق والكراسي فيجلس ويأذن للناس فيجلسون على الكراسي والوسائد والى جانبه كتّاب الأموال وكتاب الدواوين والأحوال والوفود تتوالى مهنئة ومبايعة، ولكن سليمان لم يلبث أن عدل عن عزمه على الاقامة في القدس وعاد الى دمشق (٦٦) حتى إنه عندما استخلف من بعده عمر بن عبد العزيز قال ابن سيرين رحمه الله «يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير فصلى الصلوات لوقتها وختمها بخير واستخلف عمر بن عبد العزيز (٦٧).

طلب عمر بن عبد العزيز من جميع ولاة دولته أن يزوروا القدس وبقوا بين الطاعة والعدل في المعاملة بين الناس في مسجدها (٦٨)، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على تعظيمه لهذا المكان المقدس. وعن عطاء عن أبيه قال: «كانت اليهود تسرج بيت المقدس، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أخرجهم وجعل فيه من الخمس

فأتاه رجل من أهل الخمس فقال له اعتقني فقال: «كيف اعتقك ولو ذهبت انظر ماكان لي شعرة من شعر جسدك» (٦٩).

أخذ خلفاء بني أمية على أنفسهم تعيين بطاركة القدس بعد أن كان ذلك من حقوق روسائها الدينيين، وذلك رغبة منهم في تأكيد سيادة الدولة الاسلامية من نطاق دار الاسلام ووقوفاً في وجه السيادة الشخصية التي ادعتها البابوية. وفي كل الحالات فإن تعيين البطريرك سواء في القدس أو غيرها كان يستدعي موافقة الخليفة أو الوالي.

حدث في سنة ٧٦هـ/٦٩٥م أن مات يوحنا السيناوي فعمد الحجاج الى منع النصارى من اختيار جاثليق مكانه، وظلوا بلا طريق حتى مات الحجاج كما حدث عندما مات يوليانوس بطريرك انطاكية فإن الوليد بن عبد الملك لم يسمح بتعيين آخر محله (٧٠).

ويؤكد رنسمان أن العصر الأموي فترة رخاء لسوريا وفلسطين، واستخدم الخلفاء في أعمالهم فنانين وصناعاً مسيحيين. وأن المسيحيين اصابوا من الثراء مايزيد على ماكانوا عليه زمن الأباطرة المسيحيين إذ استتب الأمن ونشطت التجارة وازداد هبوط الضرائب (٧١).

بعد أن انتقلت الخلافة الى العباسيين سنة ١٣٢م عمل الخلفاء على الاهتمام بمدينة بيت المقدس، ووجهوا جل عنايتهم ناحيتها خاصة، وأن الخلفاء الأمويين الأواخر انصرفوا عن الاهتمام بأمور البلاد الداخلية نتيجة للاضطرابات السياسية التي شهدتها البلاد في هذه الآونة فقد عين أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين يحيى بن جعفر الهاشمي، وجعل فلسطين تابعة لدمشق (٧٢). وقد حدث في عام ١٢٠هـ زلزال خطير هدم جوانب المسجد الأقصى شرقية وغربية، فما كان في وسع الأمويين عمل شيء، فعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة العباسية كان منهمكاً في بناء بغداد لتكون عاصمة الدولة فقيل له «ياأمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه من الرجفة سنة ثلاثين ومائة، ولو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته فقال ماعندي شيء من المال ثم أمر بقلع صفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وانفقت عليه حتى فرغ (٧٣).

كان والي المنصور على فلسطين عبد الوهاب بن ابراهيم وقيل إن المنصور زار بيت المقدس مرتين مرة سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م ومرة سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م (٧٤) وقد وضع أبو جعفر

هذا التقليد حيث أوصى أنه على كل خليفة عباسي أن يزور القدس ولو مرة واحدة في حياته (٧٥).

وعندما آلت الخلافة العباسية الى الخليفة المهدي العباسي اهتم اهتماماً كبيراً بالقدس الشريف، وكانت أول أعماله أنه أصلح ما أفسده الزلزال الذي أدى الى تحطيم جميع الاصلاحات التي كان قد قام بها الخليفة أبو جعفر، فقد طلب منه ذلك، فأمر ببنائه وقال: رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طولة وزيدوا في عرضه (٧٦). وقدم بعد ذلك لزيارة المسجد الأقصى وهو يقول لمن حوله: سبقنا بنو أمية بهذا البيت لا أعلم على ظهر الأرض مثله وكان طول المسجد وقتها ٧٨٤ ذراعاً وعرضه ٤٥٥ ذراعاً (٧٧).

وفي عهد المهدي أبعد البطريرك الياس الثالث الى بلاد الفرس وأمر بأن يسكن المسيحيون بحي واحد من أحياء القدس وتحصل منهم فدية (٧٨).

ويؤكد المؤرخ رنسمان على أن الأحوال في القدس في ظل الخلافة العباسية تتماثل عما كان في أيام الأمويين «وتقرر مثلما حدث زمن الأمويين استخدام الموظفين المسيحيين على أن هؤلاء المسيحيين كانوا جميعاً باستثناء حالات قليلة من النساطرة الذين تطلعوا نحو الشرق لانحو الغرب... ويؤكد أيضاً على أن بطريرك بيت المقدس عند كتابته عن أحوال ذلك الوقت الى زميله في القسطنطينية يقول عن السلطات الاسلامية «أنها عادلة ولم تنزل بنا الضرر ولم تظهر شيئاً من العنف نحونا» (٧٩).

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد حدث اتصال بينه وبين الامبراطور شارلمان امبراطور الفرنجة الكارولنجيين فقد حاول شارلمان أن يفرض سيطرته الدينية على كنائس الشرق، وخاصة كنيسة القيامة بالقدس حتى يتحقق له ضرب مصالح الدولة البيزنطية في الشرق (٨٠).

بدأ شارلمان في تحقيق خطته فقام بارسل الهبات والصدقات للمحتاجين في كل من سورية ومصر وافريقية وبيت المقدس والاسكندرية وقرطاجة (٨١). وقد كانت هناك سفارات الى شارلمان سنة ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠٣، ٨٠٧ . ويذكر اينهارد أن الرشيد بعث سفراء الى شارلمان يحملون له الهدايا الفاخرة اضافة الى مواد وعطور ومنتجات قيمة أخرى من البلاد الشرقية، كما بعث اليه الرشيد بالفيل الوحيد الذي يملكه.

وصفوة القول أن مايرو يه اينهارد وغيره من المؤرخين الذين تناقلوا روايته يعتبر وهما اسطورياً ومغالطات افتعلها اينهارد ليضخم من أمر سيده شارلمان على حساب الحقيقة التاريخية وربما رجا شارلمان الخليفة أن يقوم بحماية الحجاج والتجار الأوروبيين الذين يزورون الأماكن المقدسة، وبأن يسمح له بارسال الصدقات الى كنيسة القيامة. ولايستبعد أن يكون الرشيد الذي اشتهر بالنبل والحرص على أمن المسيحيين في بلاده قد وعد شارلمان بحماية الحجاج والتجار الاوروبيين داخل بلاده وأن يكون قد وافق على أن يرسل شارلمان التبرعات والصدقات الى المؤسسات الدينية في بيت المقدس. والثابت أنه بعد وفاة شارلمان أصبح تدخل الفرنجة في القدس ضعيفا ولم يعد له ذكرى الا فيما أنشأه شارل من فنادق وفيما كان يؤدي من الشعائر اللاتينية في كنيسة القديسة ماري اللاتينية وفي الراهبات اللاتينيات اللائي يباشرن الخدمة في كنيسة القيامة.

ويعلق العالم يرنارد الحكم على هذا الفندق الذي أنشأه شارل فيما كتبه للبابا عن وصف القدس سنة ٨٧٠م.

إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام وإن الأمن مستتب للغاية حتى أن المسافر ليلاً يفرض عليه أن يكون بيده وثيقة تثبت هويته، ووصف برنارد الفندق الذي نزل فيه وهو معد للحجاج القادمين من بيزنطة أو ايطاليا فقال: إن الذي سنه هو الملك شارلمان وكان بجانبه سوق يترتب على التاجر الذي يعمل فيه أن ينقد المحتسب قطعين من الذهب كل سنة (٨٥).

سار أبناء الرشيد الأمين والمأمون والمعتصم على سياسة أبيهم في الاهتمام بشؤون القدس ورعايتها كما ساروا على وصية جدهم أبي جعفر المنصور فكانوا يقومون بزيارتها بل أن المأمون زاد على ذلك أن كلف أخاه المعتصم أمير الشام بأن يشرف بنفسه على اصلاح قبة الصخرة من تصدعها من الزلزال. وفي عهد المأمون زار القدس عدد كبير من العلماء وأهل الفضل وعلى رأسهم الامام محمد بن ادريس الشافعي(٨٦)، خلف المأمون سنة ٢١٨هـ أخاه المعتصم ثم بعده ابنه هارون سنة ٢٢٧هـ/٨٣١م وفي عهده حدثت المبرقع اليماني الذي أعلن العصيان بفلسطين سنة ٢٢٧هـ ورفع العلم الأبيض وقيل إن اتباعه بلغوا مائة ألف كان معظمهم من المزارعين. ولكنه فشل واعتقل في عهد هارون بن المعتصم وحمل الى سامراء وهذه الثورة تدل على أن الملكية الصغيرة أصبحت مألوفة في فلسطين وأن عامة القبائل قد تحولت الى مزارعين (٨٧).

القدس من العصر الطولوني حتى الغزو الصليبي سنة ١٠٩٩م

تغير الوضع السياسي في الخلافة العباسية بعد عهد الخليفة العباسي الواثق سنة ٢٣٢هـ، إذ سماه المؤرخون العصر العباسي الثاني وذلك لأن الخلافة أضحت ظلاً وسيطرت عليها قوى عنصريه مختلفة فارسية وتركية وديليمة الى غير ذلك. وعندما بدأت الدويلات المستقلة تنفصل عن جسد الخلافة الام قامت بمصر الدولة الطولونية التي أسسها أحمد بن طولون سنة ٢٥٤هـ والتي نجحت في أن تبسط سيادتها على بلاد الشام ومدينة القدس بوجه خاص. ويذكر أحمد بن طولون في كتاب له أن «أمير المؤمنين قد قلده الشام كله مضافاً الى الثغور وأنه في أثر كتابه ويقول فيه: وينبغي أن تتقدم فيما نحتاج اليه من الميرة والعلف للعساكر ومايحتاج اليه فأجابه ابن ماجور أحسن جواب فلما قرب من الرحلة تلقاه خليفة أبيه كان بها وهو محمد بن رافع بالميرةوالعلف وكان قد أقام له الدعوة بلغة خبر رحيلة الى الشام(٨٨).

دخلت القدس تحت حكم الاخشيديين في عهد محمد بن طغج الاخشيد وذلك بعد زوال الدولة الطولونية، وقد عمل على توطيد نفوذه بولاية الشام حتى إنه دخل في حرب مع محمد بن رائق الذي تطلع لولاية الشام بدلا من الاخشيد واستطاع أن ينتصر عليه ويستعيد ملكه على هذه البلاد(٨٩)، ومع ذلك فقد دخل الاخشيديون مع الحمدانيين في محاولة للسيطرة على بلاد الشام ويؤكد المؤرخون أن جميع الولاة الاخشيديين قد أوصوا بأن يدفنون جميعهم في القدس(٩٠).

أما في عهد كافور الاخشيدي فقد كان واليه على القدس محمد بن اسماعيل الصنهاجي، وفي زمن هذا الوالي حدثت منازعات بين المسلمين والمسيحيين سببها أن الوالي محمد الصنهاجي قد بالغ في طلب المال لكافور الاخشيدي فأمره كافور بالكف عن مطالبة البطريرك بالمال ولكن الصنهاجي لم يلتزم بذلك وعاد بالمطالبة بمزيد من المال فشكاه البطريرك وكان في عيد الشعانين(٩١).

ويرى ابن تغري بردى أن كافورا حاول اعادة بناء كنيسة القيامة، وانفرد وحده بالخبر على أن كافورا قد دفن بالقدس بينما تذكر بقية المصادر الاسلامية أنه دفن في مصر في القرافة الصغرى(٩٢).

الفاطميون في القدس :

بعد سقوط الدولة الاخشيدية على يد الفاطميين سنة ٣٥٨هـ تحولت أملاكهم في بلاد الشام الى الفاطميين وعندما تم لجوهر الصقلي فتح مصر قرر ارسال حملة الى فلسطين اسند قيادتها الى جعفر بن فلاح الكتامي سنة ٣٥٩هـ(٩٣).

فرأى الاخشيديون في الشام بعد أن وصلت اليهم أنباء هذه الحملة أن يعدوا أنفسهم لصدها فخرج الحسن بن عبد الله بن طغج الاخشيد الذي كان يلي بلاد الشام اذ ذاك من مدينة دمشق قاصداً الرملة واستخلف شمولاً الاخشيدي على دمشق، على أن هذا الوالي لم يكن مخلصاً لحسن بن عبد الله فتقاعس عن نصرته. لما وصل جعفر بن فلاح الى الرملة دعا ولاة الشام الى طاعة المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب فأجاب دعوته فريق منهم. أما الحسن بن عبد الله بن طغج الاخشيد فإنه استنجد بعماله على دمشق وطبرية فلم يسارع أحد منهم الى نجدته، وانتهت الحرب التي دارت بين جعفر بن فلاح والحسن بن عبد الله في الرملة بهزيمة الحسن وأسرة(٩٤). استأنف جعفر بن فلاح السير الى طبرية بعد انتصاره في الرملة فبنى قصراً على الجسر الذي يشرف على المدينة ليحارب فاتكاً غلام وملهم وكان يلي أمورها من قبل كافور الاخشيدي فخافه كل من فاتك وملهم ولم يتعرضا له، وبذلك دخل جعفر طبرية دون مقاومة تذكر(٩٥). وسقطت مدن فلسطين خاصة القدس في يد الفاطميين.

تمتعت القدس في عهد الفاطميين بالطمأنينة والهدوء، وقد عين الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي البطريرك توما الثاني على بيت المقدس حيث تمتع المسيحيون في عهده بالتسامح الديني(٩٦). وكان الوالي على فلسطين قبطياً يدعى أبا اليمن قزمان بن مينا الكاتب حيث اتخذ هذا من دير السلطان بالقدس مقرا له وهذا الدير من أملاك القبط(٩٧). وفي عهد العزيز بالله ٣٨٦هـ/٩٩٦م شغل كرسي البطريركية في القدس يوسف الثاني وأفابيوس وأورستوس شقيق زوجة الخليفة(٩٨).

بدأ الحاكم بأمر الله الفاطمي حكمه بسياسة التسامح مع المسيحيين في القدس واهتم اهتماماً كبيراً بهذه المدينة المقدسة خاصة وأن أمه كانت مسيحية، كما تلقى الجانب الأكبر من تعليمه على أيدي مسيحيين(٩٩) ومع ذلك تبدلت سياسة الحاكم بشكل مخالف ما ألفه الناس من منطق فقد حدث سنة ١٠٠٧م أن انطلقت اشاعة في اوروبا مؤداها أن القيامة ستقوم في وقت معين فتقاطر على القدس أعداد لا

حصر لها من المسيحيين الاوروبيين يريدون أن تنتهي حياتهم وهم في جوار كنيسة السيد المسيح فلما انقضى الأجل المضروب للحدث العظيم ولم يقع طبعاً استشاط الحاكم بأمر الله غضباً وأمر بطرد الأوروبيين من القدس(١٠٠).

وفي عهد الخليفة الظاهر الذي حكم من ٤١١ ــ ٤٢٧هـ تعرضت القدس لزلزال كبير، ففي عام ٤٢٥هـ كثرت الزلازل بمصر والشام أدت الى تهدم مناطق كثيرة، وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها تقطعاً وخرج منها أهلها وسقطت بعض حيطان بيت المقدس ووقعت قطعة كبيرة من مسجد ابراهيم عليه السلام قطعة(١٠١)» ولكن الظاهر قام باعادة تعمير المسجد الاقصى وأعادة بناء الكنيسة وشرع في بناء سور القدس(١٠٢).

في عهد الخليفة الظاهر نجح صالح بن مرداس أمير حلب الذي كان يناصب الفاطميين العداء وينافسهم في الاستيلاء على الشام نجح في الوصول الى فلسطين واستولى على بيت المقدس لمدة وجيزة، غير أن حكم الفاطميين مالبث أن عاد مرة أخرى سنة ١٠٤٩م(١٠٣).

عقد الخليفة الظاهر هدنة مع امبراطور القسطنطينية قسطنطين الثامن عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م كان من شروطها أن يطلق الامبراطور أسرى المسلمين مقابل أن يمنحه الظاهر الاذن بتجديد كنيسة القيامة وإقامة بطريرك على القدس(١٠٤) وللإشراف على سير العمل صار للموظفين البيزنطيين حرية السفر الى بيت المقدس حيث اضحى للمسيحيين فيما يبدو السيطرة التامة، مما أثار امتعاض المسلمين سكان المدينة والرحالة الذين زاروها وإذ بلغ من كان يشهدهم الناس في شوارع بيت المقدس من البيزنطيين من الكثرة إذ ذاع بين المسلمين شائعة أن الامبراطور البيزنطي أقام بالرحلة اليها واستقرت في بيت المقدس جالية من تجار امالفى اشتهرت بالرخاء، وحظيت بحماية الخليفة غير أنها جعلت ايضاً تبعية مدينتها في ايطاليا للامبراطورة كما تفيد من الامتيازات التي يغدقها على رعاياه(١٠٥).

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧/٤٨٧هـ ١٠٣٥ــ١٠٩٤م ظل الاهتمام بمدينة القدس كما كان في عهد اسلافه، وقد حدثت بعض الأحداث في قبة الصخرة ببيت المقدس. وفي عام ٤٥٢هـ سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس وفيه خمسمائة قنديل فتطير المقيمون به من المسلمون وقالوا «ليكونن في الاسلام حادث

عظيم» (١٠٦) وفي عام ٤٦٠ تعرضت القدس لزلزال شديد ادى الى خراب الرملة والى انشقاق صخرة بيت المقدس (١٠٧).

جدد الخليفة المستنصر الهدنة التي سبق وأن عقدها الخليفة الظاهر مع البيزنطيين فهادن ملك الروم ميخائيل الرابع على أن يطلق خمسة آلاف أسير ليتمكن من عمارة كنيسة القيامة التي كان قد خربها جده الحاكم في أيام خلافته فأطلق الأسرى وأخرج ملك الروم عليها أموالاً عظيمة (١٠٨).

وفي نظير ذلك سمح للمسلمين ببناء مسجدين في القسطنطينية، فشيدت كنيسة القيامة تحت زعامة البطريرك يوانيكيوس حيث أحدث تغييراً في شكلها الأصلي الذي كانت عليه زمن الامبراطور قسطنطين وانتهى بناؤها في عهد الامبراطور قسطنطين التاسع سنة ١٠٤٨م كما بنى المسيحيون معابد صغيرة فشيدوا فوق المغارة كنيسة وشيدوا حولها معابد أخرى صغيرة منها واحد باسم السيدة مريم العذراء والثاني الى جنوبه باسم يوحنا الحبيب، وبجواره بنوا كنيسة الثالوث المقدس والى جنوبها بنوا كنيسة يعقوب، وبنوا فوق صخرة الصليب معبداً تغطي جدرانه الفسيفساء، وأبقوا قبة الصخرة مكشوفة.

قام الفاطميون خلال هذه الفترة بأنشاء مستشفى «بيمارستان» بالقدس ورصدت له أموال ضخمة، وكان اطباؤه يتقاضون رواتب ثابتة، كما أنشأوا دارا للعلم رفعت من شأن الحركة الفكرية بها. وقد زار الرحالة ناصري خسرو القدس سنة ١٠٤٥م وسجل ذلك في كتابه سفرنان بقوله «يذهب اليها السوريون وسكان البلاد المجاورة للقدس عندما لايتيسر لهم وسائل الحج الى مكة ويشبعون عواطفهم الدينية فيضحون الضحايا ويصلون ويتقربون الى الله بجميع أنواع الصلاة والعبادة، ويصل عدد الزوّار في بعض الأعوام الى عشرين ألفاً .. والقدس مزروعة زرعاً جيداً ينبت حولها القمح والتين والزيتون، كما تنبت أنواع كثيرة من الأشجار اسعارها معتدلة وزينتها كثيرة، ويحفظ الزيت في الآبار والأحواض ويصدر الى خارج البلاد، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار لحفظها من الديدان ويستعمله الصيادلة من أجل صيانة العقاقير من الحشرات.. يحيط بالمدينة سور منيع من الحجارة وللسور أبواب من حديد يقطن فيها عشرون الفا من السكان بينهم صناع كثيرون ولكل صنعة سوق خاص بها (١٠٩).

القدس بين الأراتقة والفاطميين

نجح السلاجقة وهم قوم من الاتراك الغز(١١٠) في جمع صفوفهم وبسط سلطانهم منذ عهد ملكهم طغرلبك على جهات واسعة من العالم الاسلامي شملت مرو ونيسابور وكرمان واذربيجان وجرجان وطبرستان، كذلك عمل طغرلبك على توثيق الروابط بين السلاجقة والخليفة القائم بأمر الله العباسي، فلما استنجد به هذا الخليفة لينقذه من فتنة أبي الحارث أرسلان البساسيري التابع للفاطميين أجاب طلبه وسار الى بغداد وقضى على هذه الفتنة، وأعاد اقامة الخطبة للخليفة العباسي سنة ٤٥١هـ، غير أنه لم يلبث أن استأثر بالسلطة دونه وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة(١١١).

وفي سنة ٤٦٥هـ عهد السلطان ملكشاه الى أنسز التركماني بالاستيلاء على بلاد الشام، ففتح الرملة وبيت المقدس ثم يمم السير الى دمشق غير أن جيوش الفاطميين سرعان ماردته على أعقابه(١١٢) لكنه لم يلبث بعد ذلك أن عول على محاصرتها سنة ٤٦٧هـ وأخذ يشدد عليها الحصار حتى تمكن من فتحها ثم حذف اسم المستنصر بالله الفاطمي وأحل محله الخليفة المتقي بأمر الله العباسي.

تحركت قوات بدر الجمالي الوزير الفاطمي للمستنصر ناحية بلاد الشام لمحاربة انسز، وتم الانتصار عليه لذلك اضطر انسز الى مراسلة تاج الدولة تتش أخو ملكشاه والذي كان محاصراً لحلب في هذه الأونة.

لبى تتش نداء انسز لكنه قبض عليه وقتله واستولى على كل ممتلكاته في بلاد الشام كان مع تتش قائد يدعى أرتق بن اكسك أو اكسب وهو من القبائل التركمانية فساعده كثيراً في عملياته الحربية في بلاد الشام، لذا قام تتش باقطاع ارتق مدينة القدس سنة ٤٧٩هـ(١١٤)، تمهيداً للاعتماد على مقدرته العسكرية اذ كان منصوراً لم يشهد حرباً الا وكان الظفر(١١٥) وللاستفادة كذلك من العدد الكبير من التركمان الذين كانوا تحت امرته والذين عرفوا باجلالهم له واعتدادهم به فضلاً عن إمكان اتخاذه حاجزاً بينه وبين الفاطميين في مصر(١١٦).

منذ عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م وحتى وفاة ارتق ٤٨٤ـ١٠٩١م لم يرد أي خبر عنه والمرجع أنه استقر خلال سنواته الأخيرة في اقطاعه في القدس وابتعد عن التدخل في المنازعات والحروب التوسعية.

وفي عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م توفي ارتق في القدس(١١٧) مخلفاً اياها لولديه سقمان وايلغاي بعد أن قدم للسلاجقة خدمات كبيرة(١١٨).

من الممكن اعتبار ــ ارتق واضع الكيان السياسي للاراتقة فعلى الرغم من أن القدس لم تبق بأيدي ابنائه مدة طويلة بعد وفاته، وأنهم اسسوا إمارتهم بعد ذلك في ديار بكر بعيداً عن موطنهم الأصلي إلا أن القدس تعتبر ولا شك مركز تجمع الاراتقة وحجر الزاوية لنشاطهم السياسي والعسكري كأصحاب امارة لها شخصيتها المستقلة، فبعد وفاة ارتق بقي ابناؤه في القدس طيلة سبع سنوات ٤٨٤ــ٤٩١هـ/١٠٩١ــ١٠٩٧م لعبوا خلالها دورا اساسيا في الصراع الذي شهدته بلاد الشام بين تتش وابن أخيه بركياروق الذي خلف أياه ملكشاه(١١٩) وقد حالف الاراتقة السلطان تتش ضد سلاطين السلاجقة وبعد مقتله حالفوا ابنية رضوان أمير حلب ودقاق أمير دمشق(١٢٠).

مالبث سقمان وايلغازي أن وجدا نفسيهما مدفوعين الى الاسهام في أحداث الصراع التي نشبت بين الأخوين رضوان ودقاق، كما شاركا القوات الاسلامية التي تصدت للحملة الصليبيةالأولى التي حاصرت انطاكية سنة ٤٩١هـ ١٠٩٧م والتي هزمت فيها القوات الاسلامية(١٢١)، لم تبق القدس بيد الاراتقة بعد ذلك سوى أشهر معدودات إذ كان الفاطميون في مصر يطمعون في اعادة الاستيلاء عليها باعتبارها قاعدة فلسطين ونقطة ارتكاز لمحاولة استرداد ماافقدهم السلاجقة اياه، وسرعان مااستغلوا فرصة ضعف الأتراك وتخاذل امرائهم اثر اندحارهم أمام الصليبيين عند انطاكية، ومقتل عدد كبير منهم، فسار أمير الجيوش المصرية الأفضل بن بدر الجمالي في شعبان سنة ٤٩١هـ ١٠٩٨م على رأس قواته الى القدس، وادرك الاراتقة أنه ليس بإمكان حليفهم دقاق تقديم المساعدة الفورية لهم لكنهم اعتقدوا بأن تحصينات القدس العظيمة والمقدرة الحربية لقبائلهم التركمانية ستمكنهم من الصمود حتى تأتيهم النجدة من دقاق أو أي من أمراء الشام السلاجقة.

كان في القدس آنذاك معظم امراء بني ارتق سقمان وايلغازي وابن عمهما سونج وابن اخيهما ياقوتي وجماعة من أقاربهما ورجالهما وخلق كثير من التركمان(١٢٢) وحاول الأفضل في البداية أن يتبع الأساليب السلمية لتحقيق غرضه فراسل كلا من سقمان وايلغازي يلتمس منهما تسليم القدس من غير قتال ولاسفك دماء فلم يجيباه(١٢٣) وعند ذلك بدأ بقتال البلد ونصب عليه عددا كبيرا من المنجنيقات تمكنت من هدم مواضع من سوره، واستمر الحصار نيفاً واربعين يوما و يظهر أن التركمان قرروا الاستمرار في

القتال لولا أن أهل القدس لم يكونوا بجانبهم إذ ارسلوا الى الأفضل وواطؤوه على فتح الباب وطلبوا منه الأمان فاستجاب لهم، ومن ثم دخلت قواته القدس بالأمان حيث أحسن الى سقمان وايلغازي وأصحابها وأجزل الهم العطاء واطلقهم فساروا الى دمشق ثم مالبثوا أن غادروها واتجهوا شرقاً (١٢٤).

كانت الأحوال الداخلية في مصر ابان سقوط القدس في أيدي الفاطميين غير مستقرة، فقد اضطربت فيها الأمور بعد تولي المستعلى الخلافة، ويرجع السبب في ذلك الى ماقام به الوزير الأفضل بن بدر الجمالي من اقصاء نزار ابن المستنصر الخلافة رغم احقيته لها (١٢٥).

سقوط بيت المقدس على يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م

أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة على نشر نفوذهم في بلاد الشام الى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد وضعف الجبهة الاسلامية أمام الغزو الصليبي من الغرب الأوروبي، قد تجهزت اوروبا بناء على نداء البابا ايريان الثاني في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٥م بحملة كبيرة عرفت باسم الحملة الصليبية الأولى، وذلك لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين.

نجح فريق من الصليبيين بقيادة بلدوين البولوني في الاستيلاء على الرها سنة ١٠٩٨م (١٢٦) بينما توجهت بقية القوة الصليبية وحاصرت مدينة انطاكية شمال الشام، وبذلك اصبحت الساحة الاسلامية تتعرض جميعها لخطر جسيم.

لم تدرك الخلافة الفاطمية طبيعة الحركة الصليبية عند وصول الحملة الصليبية الأولى عند أطراف الشام ١٠٩٧م حتى إن الأفضل عندما سمع بأن الصليبيين الذين وصلوا الى شمال الشام اشتبكوا مع الاتراك السلاجقة والاراتقة الذين سلبوهم القدس، فكر في اقامة تحالف بينه وبين الصليبيين بحيث تكون انطاكية للصليبيين وبيت المقدس للفاطميين (١٢٧).

أرسل الأفضل سفارة الي الصليبيين وصلتهم وهم أمام انطاكية في يناير سنة ١٠٩٨م ويبدو أن هذه السفارة كانت تحمل غرضاً محددا خلاصته أن يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة على أن يكون شمال الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بالقسم الجنوبي من فلسطين (١٢٨). رحب الصليبيون بسفارة الأفضل في الوقت الذي تحرك فيه الأفضل ــ كما اوضحنا للاستيلاء على ممتلكاتهم بالشام من يد السلاجقة منتهزين هذه الظروف السياسية فنجحوا في استعادة القدس من الاراتقة،

ولعل ماقام به الأفضل من مهاجمة الاراتقة في بيت المقدس في هذه الأونة سبب ارتباكا للسلاجقة في أشد الاوقات حرجاً(١٢٩) على أن الحقيقة مالبثت أن تكشفت، ورأى الفاطميون أن الغزاة الصليبيين لم يقفوا عند حد الاستيلاء على انطاكية وغيرها من المراكز شمال الشام وإنما أخذوا يوغلون في جنوب الشام صوب بيت المقدس(١٣٠).

عندما ادرك الأفضل أن بيت المقدس هو الهدف الاساسي للصليبيين أرسل اليهم سفارة وصلتهم قرب طرابلس تحمل الهدايا النفسية والأموال الضخمة لكل واحد من زعماء الصليبيين، كما تحمل لهم عروضاً من الخليفة الفاطمي خلاصته السماح للحجاج الصليبيين بالحج وزيارة كنيسة القيامة في بيت المقدس على شكل مجموعات من مائتي أو ثلاثمائة حاج بشرط ألا يكونوا مسلحين، ولكن الصليبيين ردوا على هذه السفارة بأنهم سيتمكنون من الحج فعلاً ولكن بإذن الله وليس بإذن الخليفة الفاطمي، وكان معنى ذلك بداية الصدام المسلح بين الفاطميين والصليبيين من أجل بيت المقدس(١٣١).

لم يلبث الصليبيون أن زحفوا على بيت المقدس في الوقت الذي كان حاكم المدينة من قبل الوزير الأفضل هو افتخار الدولة(١٣٢) وقد اتخذ كافة الإجراءات لمواجهة الصليبيين، فسمم الآبار وقطع موارد الماء، وأخفى المواشي فضلاً عن اهتمامه بتقوية التحصينات، والتأكد من سلامة الأسوار معتمداً في الدفاع عن بيت المقدس على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودانيين وبذلك سقطت مدينة بيت المقدس في منتصف يوليو سنة ١٠٩٩م ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢م وكان افتخار الدولة حاكم المدينة من جملة القلائل الذين بذل لهم الفرنج الأمان وسمح لهم بالخروج الى عسقلان.

ولابد قبل أن ننهي حديثنا عن تاريخ القدس حتى هذه المرحلة من وقفة قصيرة نسترجع بها شريط الذكريات للفتح الاسلامي العمري للمدينة سنة ١٥هـ وبين غزوها علي يد الصليبيين سنة ١٠٩٩م لنعقد مقارنة تبين سماحة الاسلام واخلاقه في الفتح وكيف عاملوا أهل البلاد وأمنوهم ولنرى ماذا فعل الصليبيون عند دخولهم القدس.

يذكر الحنبلي لبث الافرنج يقتلون المسلمين بالقدس الشريف اسبوعا وقتل في المسجد الأقصى مايزيد على سبعين الف نفس منهم جماعة كبيرة من ائمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاوروا هذا الموضع الشريف(١٣٣) وقد أكد المؤرخون المسلمون على أنه لم ينج من المسلمين بحياته الا فئة قليلة من أهل المدينة إذ أن

الصليبيين انطلقوا في شوارع المدينة والى الدور والمساجد يقتلون كل من صادفهم من الرجال والنساء والأطفال فظلت المذبحة مستمرة طوال الليل، وفي صباح اليوم التالي اقتحم جماعة من الصليبيين باب المسجد الأقصى، وأجهزت على الذين حاولوا اللجوء اليه (١٣٤).

وهناك آراء اوردها مؤرخون مسيحيون حول سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين يقول شحادة الخوري «أمر الصليبيون الأشخاص الذين بقوا أحياء من العرب أن يجمعوا جثث موتاهم أكواماً ويحرقوها بالنار وبعد ذلك قتلوا هؤلاء ايضاً وهي قسوة يتبرأ منها الدين المسيحي الذي يدعون أنهم جاءوا لنصرته (١٣٥).

ويذكر وليم الصوري «أن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحة رهيبة حتى أصبح مخاضة واسعة من دماء المسلمين اثارت خوف الغزاة واشمئزازهم (١٣٦) وبذلك سقطت القدس بعد هذا التاريخ الاسلامي الحافل، وبعد أن عاشت طوال هذه الفترة تحسن الى رعاياها المسلمين واليهود وتعاملهم معاملة شهدت بها المصادر الشرقية والغربية، ومع ذلك، عندما تمكن هؤلاء الصليبيون من هذه المدينة اذاقوا المسلمين ــ كما أوضحت ــ مرارة الوحشية والهمجية، وظلت هكذا تئن من جراحها حتى قيض الله لها بطلاً هماما نجح في استردادها الى أحضان الاسلام مرة أخرى سنة ١١٨٧مـ٥٨٣هـ فهما طال الزمن، فالعودة ستحين وستجيء وستعود المقدسات الاسلامية الى أصحابها وأهليها بفضل الله وعونه وبقوة الاسلام والمسلمين.

---

(١) محمود العابدي «قدسنا» ص ٥٣.
(٢) أبو الحسن الندوى «السيرة النبوية» ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩.
(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩.
(٤) الحنبلي «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» ص ٢٤٤.
(٥) ابن هشام «سير رسول الله صلى الله عليه وسلم» جـ ٢ قسم ٢ ص ٦٠٦، الطبري «تاريخ الأمم والملوك» جـ ٣ ص ١٠٧، ١٤١.
(٦) ابن هشام نفسه.
(٧) الطبري «المصدر نفسه» جـ ١ ص ٢١.
(٨) نفسه ص ٣٢.
(٩) الواقدي فتوح الشام، جـ ١ ص ١٧٠.

(١٠) ابن الاثير «الكامل» جـ ٢ ص ٢٧٨.
(١١) الواقدي نفسه ص ٤٢.
(١٢) المصدر السابق ص ٥.
(١٣) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٤٧.
(١٤) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٤٧.
(١٥) الواقدي «فتوح الشام» ص ١ ص ١٤٦ ــ ١٤٧.
(١٦) عن ذلك انظر البلاذري، «فتوح الشام» ص ١٨٩، الواقدي «فتوح الشام» جـ ١ ص ١٤٨، اليعقوبي «تاريخ اليعقوبي» جـ ٢ ص ١٤٦ ــ ١٤٧، الطبري نفسه جـ ٣ ص ٦٠٧، ابن الأثير «الكامل» جـ ٢ ص ٣٤٧ ــ ٣٤٨.
(١٧) السيوطي اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى جـ ١ ص ٢٢٦.
(١٨) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٤٩.
(١٩) عن المناقشات التي دارت بين الخليفة وعمرو المسلمين، انظر اليعقوبي «تاريخ اليعقوبي» جـ ٢ ص ١٤٧، الواقدي «فتوح الشام» جـ ١ ص ١٤٨، الحنبلي «الأنس الجليل» ص ٢٥٠ ــ ٢٥١.
(٢٠) الواقدي «فتوح الشام» جـ ١ ص ١٤٩.
(٢١) الحنبلي «الانس» ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢، السيوطي «أتحاف الاخصا جـ ١ ص ٢٣١ والقلوس: هو الجمل.
(٢٢) البرذون آ دابة البريد وهي مقطوعة الذنب تمييزا لها عن باقي الدواب ليفسح لها الناس الطريق حتى تصل في الموعد المحدد. أنظر آدم ميتز «الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري» جـ ٢ ص ٣٤٧.
(٢٣) السيوطي «أتحاف الاخصا» جـ ١ ص ٢٣١.
(٢٤) السيوطي «نفسه» ص ٢٣٣، الحنبلي «الانس الجليل» نفس الجزء والصفحة.
(٢٥) الواقدي «فتوح الشام» ص ١٥٢.
(٢٦) المصدر السابق.
(٢٧) الطبري «تاريخ الأمم والملوك» جـ ٤ ص ١٥٩ ــ ١٦٠، السيوطي «أتحاف الاخصا» جـ ١ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣.
(٢٨) محمد صبيح «القدس ومعاركنا الكبرى» ص ٣٢٧.
(٢٩) السيوطي «اتحاف الاخصا» جـ ١ ص ٢٢٧.
(٣٠) الواقدي «فتوح الشام» ص ٢٦٧.
(٣١) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٥٥ ــ ٢٦٦.
(٣٢) شفيق جاسر «تاريخ القدس» ص ٦٧.
(٣٣) شفيق جاسر «تاريخ القدس» ص ٦٧.
(٣٤) محمود العابدي «قدسنا» ص ٦٤.
(٣٥) وجيه ابو ذكر «القدس عب القرن» ص ١٥.
(٣٦) المرجع السابق.
(٣٧) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٥٨.
(٣٨) انظر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح البخاري بشرح الكرماني.

(٣٩) انظر ماسبق عن العهدة العمرية.
(٤٠) السيوطي «اتحاف الاخصا» جـ ١ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ تحقيق: أحمد رمضان.
(٤١) السيوطي «المصدر السابق».
(٤٢) راجع قصة هذا الصراع في الطبري واليعقوبي، وغير ذلك من المصادر الاسلامية المعاصرة.
(٤٣) محمد صبيح «القدس» ص ٢٣٢.
(٤٤) فلهاوزن «الدولة العربية» ص ٦٧.
(٤٥) الطبري «تاريخ الأمم» جـ ٥ ص ١٦١.
(٤٦) وصفي زكريا «عشائر الشام» جـ ١ ص ٧٣، نجدة حماش، الادارة في العصر الأموي ص ١١١.
(٤٧) البلاذري «أنساب الأشراف» جـ ٧ ص ١٢٧.
(٤٨) نبيه عاقل «تاريخ خلافة بني أمية» ص ٩١.
(٤٩) شفيق جاسر «تاريخ القدس» ص ١٩٥.
(٥٠) المرجع السابق ص ١٩٩.
(٥١) المرجع السابق.
(٥٢) عن هذه الثورة انظر الطبري «نفسه» جـ ٦ ص ١٧٤ ومابعدها الدينوري «الأخبار الطوال» جـ ٢ ص ٣١ ومابعدها وجميع المصادر المعاصرة.
(٥٣) عن ذلك انظر «فلهاوزن» المرجع السابق ص ٢٠٦.
(٥٤) نبيه عاقل «تاريخ خلافة بني أمية» ص ١٦١.
(٥٥) جاسر «المرجع السابق» ص ٣٠٠.
(٥٦) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٢٧٢.
(٥٧) المصدر السابق «السيوطي» أتحاف الاخصا» ص ٢٤١.
(٥٨) المصادر السابقة.
(٥٩) المصدر السابق ص ٢٧٣.
(٦٠) السيوطي اتحاف الاخصا ص٣٤٢.
(٦١) الحنبلي «المصدر السابق» ص ٢٧٣، السيوطي «نفسه» ص ٢٤٢.
(٦٢) الحنبلي «نفسه» ص ٢٨١، انظر الدراسة التي قدمها شفيق جاسر في كتابه «تاريخ القدس» والتي قدم فيها آراء تبين أن هذا البناء تم في عهد الوليد بن عبد الملك ص ٢٠٢، ٢٠٥.
(٦٣) الساسم نوع من الخشب الجيد.
(٦٤) السيوطي «نفسه» ص ٢٤٣.
(٦٥) جاسر «المرجع السابق» ص ٢١٠.
(٦٦) الحنبلي «نفسه« ص ٢٨٢.
(٦٧) المصدر السابق.
(٦٨) العابدي «قدسنا» ص ٦٥.
(٦٩) الحنبلي «نفسه» ص ٢٨٢، السيوطي «نفسه» ص ٢٤٦.
(٧٠) جاسر «نفسه» ص ٢١٣، نقلاً عن ساوبرس بن المقفع «سير البطاركة» ص ١٤١.
(٧١) رنسمان «تاريخ الحروب الصليبية» جـ ١ ص ٤٤ ــ ٤٦ ترجمة الباز العريني.
(٧٢) جاسر «نفسه» ص ٢١٥.

(٧٣) الحنبلي «نفسه» ص ٢٨٢.
(٧٤) الحنبلي «نفسه» ص ٢١٦.
(٧٥) العابدي «قدسنا» ص ٦٤.
(٧٦) الحنبلي «نفسه» ص ٢٨٣.
(٧٧) نفسه.
(٧٨) فاروق عز الدين «القدس» ص ١٣.
(٧٩) رنسمان المرجع السابق ص ٤٧.
(٨٠) عن هذا الموضوع انظر عفاف صبره «الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية» فاروق عمر، بحوث في التاريخ، دينفر شارلمان ترجمة العريني ص ٥٧ ــ ٥٨.
(٨١) رنسمان «تاريخ الحروف الصليبية جـ ١ ص ٤٩.
(٨٥) عارف العارف «المسلمين في القدس» ص ١٣٤.
(٨٦) فاروق عز الدين «القدس» ص ٣٤.
(٨٧) جاسر «تاريخ القدس» ص ٢٢٤.
(٨٨) البلوى «سيرة أحمد بن طولون« تحقيق محمد كرد علي ص ٩٢.
(٨٩) سيدة الكاشف «مصر في عصر الاخشيديين ص ٨٦.
(٩٠) محمد صبيح «المرجع السابق» ص ٢٣٩.
(٩١) عارف العارف «المسيحية في القدس» ص ٢٢٠.
(٩٢) سهام ابو زيد «كافور الاخشيدي» ص ٢٤٧.
(٩٣) المقريزي «اتعاظ الحنفاء» ص ١٦٨.
(٩٤) المقريزي «نفسه» ص ١٧١.
(٩٥) المقريزي «نفسه» ص ١٧٣ ــ ١٧٥.
(٩٦) جاسر «المرجع السابق» ص ٢٢٣.
(٩٧) نفسه.
(٩٨) نفسه.
(٩٩) رنسمان «تاريخ الحروب الطليبية» جـ ١ ص ٥٨.
(١٠٠) محمد صبيح «القدس» ص ٣٣٨.
(١٠١) الحنبلي «الانس الجليل» ص ٣٠٤.
(١٠٢) يحيى بن سعيد، التاريخ المجموع جـ ٢ ص ٢٧٢.
(١٠٣) رنسمان، المرجع السابق، ج ١ ص ٦٠.
(١٠٤) عارف العارف، المسلمين في القدس، ص ٢٢٢.
(١٠٥) رنسمان، المرجع السابق، ص ٦١.
(١٠٦) الحنبلي، الانس الجليل، ص ٣٠٤.
(١٠٧) نفسه.
(١٠٨) نفسه ص ٣٠٣.
(١٠٩) صبيح، المرجع السابق، ص ٣٣٩ نقلا عن ناصري خسرو، سفر نامه.
(١١٠) يرجع أصل السلاجقة الى احدى قبائل الغز التركية وكانوا يسكنون تركستان وقد قرب ملك هذا

الاقليم جدهم سلجوق اليه، فظل في خدمته حتى وصل اليه نبأ تدبيره مؤامرة للتخلص منه، فهاجر مع قبيلته الى بخارى حيث دخل هو واتباعه في المذهب السني وأصبحوا من المتحمسين له المكين بن العميد، تاريخ المسلمين، ص ٢٦٧، المقريزي، السلوك، جـ ١ ثم ١ ص ٣٠ ــ ٣١.

(١١١) ابن الاثير ، الكامل، جـ ٨ ص ٨٨.

(١١٢) المصدر السابق ص ١١٤.

(١١٤) عماد الدين خليل، الامارات الارتقية في الشام والجزيرة ص ٦٥.

(١١٥) ابن الاثير، الكامل، جـ ٨ ص ١٣٥.

(١١٦) عماد الدين خليل، الامارات ارتقية، ص ٦٦.

(١١٧) ابن خلدون، العبر، جـ ٥ ص ٤٦٣.

(١١٨) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، جـ ٣ تحقيق يحيى عبارة ص.

(١١٩) المرجع السابق.

(١٢٠) رنسمان : المصدر السابق ص.

(١٢١) عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص ٧٦.

(١٢٢) ابن الاثير، الكامل، ١٨٩، ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ ٢ ص ٢٢١، ابن خلدون، العبر، جـ ٥ ص ٤٣ ــ ٤٤.

(١٢٣) ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥.

(١٢٤) عماد الدين خليل، الامارات ارتقية ص ٧٨ ــ ٧٩، الحنبلي، الانس الجليل، ص ٣١٥، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، جـ ٥ ص ١٥٩.

(١٢٥) ابن يسير، تاريخ مصر، ص ٢٥ ــ ٢٧، أو بالمحاسن، النجوم جـ ٥ ص ١٤٤ ــ ١٤٥.

(١٢٦) عاشور، الحركة الصليبية، جـ ١ ص ١٧٧.

(١٢٧) عاشور «شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ١٧.

(١٢٨) المرجع السابق ص ١٧١.

(١٢٩) ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٥.

(١٣٠) عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ص ١٧٤.

(١٣١) المرجع السابق.

(١٣٢) ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، جـ ٦ ص ١٤٨.

(١٣٣) الحنبلي «الانس الجليل، ص ٣٠٧.

(١٣٤) عفاف صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢١.

(١٣٥) شحادة خوري «تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية، ص ٧٠.